جامعة سوهاج

كلية التربية

المجلة التربوية

في أهمية تعليم التفلسف

إعداد

أ.د/ محمد سعيد أحمد أحمد زيدان

أستاذ المناهج وطرق تدريس الفلسفة

كلية التربية – جامعة حلوان

تاريخ الاستلام : ٢ أغسطس ٢٠٢١م – تاريخ القبول : ١٥ أغسطس ٢٠٢١م

DOI: 10.12816/EDUSOHAG.2021.

الملخص:

إن تعليم التفلسف لطلاب المرحلة الثانوية ضرورة؛ إعدادًا لهم لدخول الجامعة أو جامعة الحياة.

In Importance of Teaching Philosophize

Dr. Mohammed saed Ahmed Ahmed Zedan
Professor of Curricula and Philosophy Teaching methods,
Faculty of Education Helwan University.

Summary:

Teaching Philosophize to high School Students is a necessity; preparing them For entry of the University or life University.

 Print:(ISSN 1687-2649) Online:(ISSN 2536-9091)

إن الحياة غذاء الفلسفة اليومي، والفلسفة غذاء الحياة الدائم، ثمة علاقات عضوية متشابكة، لا يستطيع طرف أن ينفصل عن الآخر، حتى بإرادته الحرة.. قانون الحاجة والاعتماد المتبادل هو الذي يحكم ويتحكم، وحسبنا أن نقرأ كتاب الحياة المفتوح لكي نتحقق من "أن الفلسفة ماثلة بالضرورة في كل زمان ومكان، وسواء أكان ذلك في الأساطير الشعبية، أم في الأمثال والحكم التقليدية، أم في الآراء السائدة بين الناس، أم في التصورات السياسية التي يأخذ بها المجتمع... إلخ، وحتى أولئك الذين يظنون في أنفسهم أنهم أبعد ما يكونون عن الفلسفة، إنما هم في الحقيقة فلاسفة رغم أنوفهم، وإن كانوا في الحقيقة هواة متقلبين أو مفكرين مذبذبين ينتقلون من فكرة إلى أخرى، دون أن يكون لديهم شعور واضح بما يفعلون! ومعنى هذا أن التفكير الفلسفي ظاهرة بشرية مشاعة، وما دامت الفلسفة ضرورة إنسانية، فهيهات لأحد أن يستغنى عنها أو أن يتخلص منها"[١]؛ لأنها آية الحكمة الإنسانية.

"إن الفلسفة بصفة عامة ليست منعزلة عن حياة الناس؛ فهي للحياة ومن أجل الحياة وكل فلسفة لا تعمل على تنمية الحياة تُعد فلسفة محكومًا عليها بالفشل. ومن المعلوم أيضًا أن الفلسفة تعتمد على العقل الإنساني وبناء الإنسان لا يتصور بدون عقل. ومن هنا فإن تأكيد دور العقل في المجتمع وحماية هذا العقل وصيانته من كل ما يُعكر صفوه وتنميته والارتقاء به من شأنه أن يساعد على بناء الإنسان المعاصر بناءً سليمًا"[٢].

"إن الفلسفة في حياتنا اليومية حقيقة واقعة، نمتصها ونتنفسها مما يدور حولنا – الفلسفة موجودة من أجل وعي الإنسان على هذه الأرض في هذه الحياة"[٣].

وإذا كانت الفلسفة هي مناط الوعي "فليس هناك فلسفة بغير تفلسف، أعني بغير مشاركة في مسائلها، وتجربة حية لمشكلاتها. صحيح أن هناك عددًا لا حصر له من الحقائق الفلسفية التي يستطيع الإنسان أن يتعلمها من تاريخ الفلسفة، وصحيح أيضًا أن تاريخ الفلسفة لا غنى عنه لكل من يريد أن يتفلسف، غير أن الاقتصار على ترديد آراء الفلاسفة – كما يقول "كانط" في عبارته الجميلة في نهاية "نقد العقل الخالص" – يُحيل الإنسان إلى نسخة من الجبس تكتفي بالترديد وتعجز عن الإضافة والإبداع"[٤].

وفي ضوء هذا يمكن القول: بأن التفلسف هو ذلك النشاط الفكري الذي يتناول حقائق الحياة باستخدام النظرة النقدية الفاحصة بدلاً من قبول الأمور على علاتها.

والواقع أن التفكير الفلسفي حكمة في التفكير، ويقين في البحث، وضرورة إنسانية يؤكدها الواقع والتاريخ، وما أصدق "أرسطو" حين قال: "فلنتفلسف إذا اقتضى الأمر أن نتفلسف فإذا لم يقتض الأمر التفلسف وجب أن نتفلسف لنثبت أن التفلسف لا ضرورة له"(٥).

ولعل من الخير أن نقر منذ البداية بأهمية التفلسف وضرورة التفكير الفلسفي. وفي ضوء هذا يُقرر "ديكارت"(٦): "أن الفلسفة وحدها هي التي تميزنا عن الأقوام المتوحشين والهمجيين، وإنما تُقاس حضارة الأمم وثقافتها بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها؛ ولذلك فإن أجلَّ نعمة ينعم الله بها على بلد من البلاد هي أن يمنحه فلاسفة حقيقيين".. ويستطرد "ديكارت" قائلاً: "إن المرء الذي يحيا دون تفلسف لهو حقًّا كمن يظل مغمضًا عينيه لا يحاول أن يفتحهما، ولا يمكن أن يقارن التلذذ برؤية كل ما يستكشفه البصر، بالرضى الذي يُنال من معرفة الأشياء التي تنكشف لنا بالفلسفة".

إن التفلسف ينتج عقولاً ناضجة، تتعامل بسماحة وسعة أفق، وشخصيات مستقلة تتسم بالشجاعة والصراحة والصدق والثقة بالنفس والشعور بالمسئولية. وبدون التفلسف يوجد التعصب، ويتجه الإنسان إلى العنف والإرهاب والتخريب والتدمير، أو يركن إلى السلبية والاستكانة.

نحن أحوج ما نكون إلى التفلسف؛ لأنه يصنع التقدم. إن التفلسف هو السبيل السريع للتقدم.. وبغيره يتحول البحر إلى بحيرة راكدة وتأسن مياهه وتموت الحقيقة.

"ونستطيع أن نقرر أن القرآن، بطبيعته، وأسلوبه، وطريقة تناوله للمسائل أو المشاكل المختلفة، يدعو للتفلسف، وأنه قابلٌ لما هو حق من الآراء التي ذهب إليها المفكرون في هذه النواحي، وأنه لهذا كان كل أصحاب مذهب كلامي أو فلسفي في الإسلام يهتمون بأن يجدوا لمذاهبهم أسانيد من القرآن"(٧).

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يشجع أصحابه على التفكير والاستدلال العقلي والقياس، أي التفلسف بصريح العبارة، وهذا في الواقع تشجيع عظيم للتفكير المبدع الذي يبتكر ما ينفع المجتمع، وما فيه خير للإنسانية(٨).

ولعل من الخير أن نشير إلى أن التفلسف لا يمكن أن ينمو في بيئات تمارس السيطرة والقهر، بيئة أسرية لا تسمح بالحوار، وبيئة تعليمية وتربوية تعتمد ثلاثية التلقين والحفظ والاستظهار منهجًا لإكساب المعرفة، وبيئة دينية تعطل الاجتهاد وحق الاختلاف، وبيئة

سياسية تعطل حرية التفكير والتعبير، وأجهزة إعلام لا تؤمن بتنوع الأفكار والآراء وتعدد أساليب الوصول إلى الحقيقة.

ويؤكد "كانط" إن مهمة معلم الفلسفة لا تنحصر في تعليم تلاميذه بعض الأفكار الفلسفية، ولكنه يهتم بدرجة أعلى بتعليمهم كيف يفكرون(٩). ذلك أن الفكر الفلسفي يهتم بالسؤال كيف نفكر لا فقط بماذا نفكر؟

وفي ضوء هذا يقرر "توملين Tomlin"(١٠): لن تتعلم مني الفلسفة، ولكن القضية كيف تتفلسف؟ فالفلسفة ليست أفكارًا ألقنها، أو أكررها عليك، بل كيف تفكر؟ فلتفكروا لأنفسكم، ولتبحثوا عن الحقيقة، ولتعتمدوا على أنفسكم".

إن تعليم التفلسف يحقق هدفًا تربويًا محددًا حيث يدرك الطلاب أن الحقيقة أكبر من أن يحيط بها عقل واحد، حتى ولو كان عقلاً عبقريًا كعقل "أرسطو" أو "ديكارت" أو "كانط" أو "هيجل"، ومن سقطات العقول الكبيرة يكتسبون فضيلتي التواضع والتسامح الفكري، فينأون بأنفسهم عن التعصب الأعمى لمبدأ أو فكرة، ويندفعون إلى التعامل مع الفكر بعقل ديالكتيكي نقدي.

إن التفلسف قبل كل شيء أداة تسمح للطالب بالتفكير النقدي، واستقلالية الفكر لديه، وتفتيح آفاق المعرفة وسبل الحصول عليها، ومواجهة الفكر بالفكر. فالتفلسف يدعوه إلى التفكير وممارسة الملكة التحليلية والنقدية بدل سرد المعلومات التي تلقاها في الدروس.

على ضوء هذا، قد يكتسب تدريس الفلسفة بالمرحلة الثانوية أهمية جديدة، ولا يعود مجرد سرد للأفكار والنظريات الفلسفية، بل قد يُصبح التمرس والتدريب على مهارات التفكير الفلسفي – على الأقل – مفتاحًا لتلك العملية التي يحقق بها الإنسان انتقاله من المملكة الحيوانية إلى المملكة الإنسانية.

إنني أعتقد أن تعليم التفلسف لطلاب المرحلة الثانوية ضرورة؛ إعدادًا لهم لدخول الجامعة أو جامعة الحياة.

وحسبي أن أؤكد على حقيقة لا يمكن تجاهلها، ونحن على أعتاب العقد الثالث من القرن الجديد، ألا وهي: إذا خبى التفلسف (بماذا أفكر وكيف أعيش) ظهر التخلف، وإذا غُل التفكير انطلقت عصابات التكفير(١١).

وإذا كنا جادين في حماية الأجيال الجديدة من أبنائنا من مخاطر التفكير غير السليم، أصبح من الضروري أن نربي هؤلاء الأبناء على منهج التفكير الفلسفي؛ حتى تتأصل فيهم روح قادرة على النقد والتمحيص والشك المنهجي والحوار وغير ذلك من مهارات التفكير الفلسفي.. جاهدين أن نربي فيهم ذلك كما نربي في الطفل – في مرحلة الإلزام، بل وقبلها – القدرة على رسم حروف الكلمات ليشب على ما عوَّدناه وليبدع هو بعد ذلك أدبًا وحوارًا ونقدًا وفكرًا رفيعًا بديعًا وفلسفة حياة بنَّاءة متحضرة دائمًا.

وفي الختام خير الكلام سائلاً من لا يغفل ولا ينام {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} (البقرة: ٢٨٦) صدق الله العظيم.

المراجع

١– زكريا إبراهيم: **مشكلة الفلسفة.** (القاهرة: مكتبة مصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٧م) ص.٢٠

٢– محمود زقزوق: **ما الذي يمكن أن تقدمه الفلسفة الإسلامية لبناء الإنسان؟..** جريدة الأهرام (العدد ٤٠٣٠٣، ملحق الجمعة في ١١ أبريل ١٩٩٧م) ص١١.

٣– سامح كريم: **الفلسفة في حياة رجل الشارع..** جريدة الأهرام (العدد ٣٧٨٨٠ في ٢٤/ ٨/ ١٩٩٠م) ص.١٢

٤– عبد الغفار مكاوي: **مدرسة المحكمة.** (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م) ص.١١

٥– نقلاً عن: محمد سيد أحمد المسير: **المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه.** (رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين – جامعة الأزهر (منشورة) – دمشق – بيروت: مؤسسة علوم القرآن. المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) ص.٢٥

٦– ديكارت: **مبادئ الفلسفة.** ترجمه وقدم له وعلق عليه عثمان أمين. (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م) ص ص ٤٨، ٤٩.

٧– محمد يوسف موسى: **القرآن والفلسفة.** (دار المعارف بمصر، ١٩٥٨م) ص.٦٤

٨– للمزيد من التفاصيل راجع:

– محمد عثمان نجاتي: **الحديث النبوي وعلم النفس.** (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م) ص ص ١٤٦ – ١٤٨.

٩– نقلاً عن: سعيد إسماعيل علي: **تدريس المواد الفلسفية.** (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٢م) ص.١٠٦

10– Emmet, E. R.: **Learning to Philosophize.** (New York: Penguin Books, 1984) p. 19.

١١– محمد سعيد أحمد زيدان: **استراتيجيات حديثة في تدريس علم الاجتماع.** (القاهرة: سفير للإعلام والنشر، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م) ص ٨.

وللمزيد من التفاصيل عن تعليم التفلسف.. راجع:

– ـــــــ: **تعليم التفلسف.. دراسات نظرية ونماذج تطبيقية**، تقديم: سعيد إسماعيل علي. (القاهرة: سفير للإعلام والنشر، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).

– ـــــــ: **المثال الشارح مدخل لتعليم التفلسف..** تقديم: حليم فريد تادرس. (القاهرة: سفير للإعلام والنشر، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).

- ـــــــــ: **المقال الصحفي مدخل لتعليم التفلسف.. مقالات حليم تادرس الصحفية نموذجًا.** (القاهرة: سفير، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م).
- ـــــــــ: **الفلسفة والحياة اليومية.. المواقف الحياتية مدخل لتدريس المواد الفلسفية.** (القاهرة: دار مصر المحروسة، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م).
- ـــــــــ: **قراءة نقدية لرسائل الماجستير والدكتوراه في مجال المناهج وطرق تدريس المواد الفلسفية ١٩٩٥ – ٢٠٢٠م.** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٤١هـ – ٢٠٢٠م).